مجلة الدراسات اللغوية والأدبية
SUST Journal of Linguistic and Literay Studies
Available at:
http://scientific-journal.sustech.edu/

موازنة بين كافية ابن الحاجب وكافية ابن مالك

حافظ الزين احمد ابراهيم [1] - مبارك حسين نجم الدين [2]

المستخلص:

لقد شاءت إرادة الله أن تجيء هذه الدراسة بعنوان موازنة بين كافية ابن الحاجب وكافية ابن مالك، هدفت الدراسة للموازنة بين كتابين مهمين لعالمين جليلين لأجل إبراز جهودهما العلمية للدارسين والقائمين على أمر العربية وكذلك رفد المكتبة العربية بسفر يحوي خلاصة تجارب السابقين في علم اللغة العربية.

وتكمن أهمية الدراسة في أن المؤلفين يعتبران مصادر لا يمكن الاستغناء عنهما في مجال العربية عامة والنحو خاصة، واتبعت الدراسة المنهج الوصفي لأنه الأنسب في هذا المجال مع الأخذ ببقية المناهج حسب الحاجة إليها، أي عملت بطريقة تكامل المناهج، بغرض التعرف على نقاط الاتفاق والاختلاف بين العالمين، أما أدوات الدراسة فشملت "كافية ابن الحاجب والكافية الشافية لابن مالك" كما استخدم الدارس الموازنة لاستجلاء مزيد من المعلومات وآراء العلماء والمفكرين ممن لهم صلة بموضوع الدراسة، وتوصلت الدراسة إلى تباين طرائق التأليف، والشرح، تباين طبيعة المادة من حيث الكم والترتيب، وانتهت الدراسة بتوصيات تتعلق بمراجعة مخطوطات ومطبوعات رواد العربية واستقطاب العلماء في هذا المجال والعمل على تشجيع الطلاب بدعمهم في مجال التأليف بغية انتقال الإرث الثقافي والعلمي عبر الأجيال.

الكلمات المفتاحية: موازنة، ابن الحاجب، ابن مالك، الكافية، الشافية.

Abstract:

This study aims at balancing the two important books of two great worlds in order to highlight their scientific efforts to learners and those who are responsible for the Arabic language, as well as supplying the Arabic library with a book containing the summary of the experiences of the former in Arabic linguistics.

The importance of the study is that the authors are considered indispensable sources in the field of Arabic in general and grammar in particular. The study tools included "sufficient Ibn al-Hajeb and sufficient healing for Ibn Malik," and the student used the budget to elicit more information and opinions of scientists and thinkers who are relevant to the subject of the study. Monotonic, and the study concluded with recommendations for reviewing manuscripts and publications of Arab pioneers and attract scientists in this field and to encourage students to support them in the field of writing in order to move the cultural and scientific heritage through the generations.

Keywords: balancing, son of the brow, son of the owner, adequate, healing.

لمحة تاريخية عن ابن الحاجب وابن مالك

أولاً : ابن الحاجب: هو أبو عمر عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الكردي الدويني الأسنائي المالكي المعروف بابن الحاجب (ابن الحاجب، شرح الوافية، ص8؛ وانظر الذيل على الروضتين، أبو شامة، ط1948م، ص182؛ وفيات الأعيان لابن خلجان، تحقيق محي الدين عبدالحميد 182/4).

ولد في أواخر سنة (570هـ)، ويكنى بابن الحاجب. لم تذكر كتب التراجم قديماً وحديثاً .

عائلته: كما أنه إلى ذلك في مصنفاته، ولما كان فقيهاً فلابد أن يكون متزوجاً لأن الفقهاء يتبعون الرسول صلّ الله عليه وسلم والذي يؤكد ذلك ما قاله ابن أبي شامة: "وأخبرني صهره الكحال أحمد بن سليمان إنه دفن خارج الإسكندرية في المقبرة التي بين المنارة قرب قبر الشيخ ابن أبي شامة. (... ترجمة رجال القرنين، ص182)

عقيدته: مالكي المذهب والذي يؤكد ذلك ما قاله الشيخ كمال الدين الزملكاني: "ليس للشافعية مثل مختصر ابن الحاجب للمالكية". (ابن الحاجب، شرح الوافية، ص11 – الديباج المذهب، ص190)

ثقافته العلمية: تربى في مصر وتنقل بينها والشام، وتعلم في مدارسها وبرع في فنون المعرفة وأتقنه غاية الإتقان. (ابن الحاجب، شرح الوافية، ص12. وانظر وفيات الأعيان 413/2) والذي يشير إلى ذلك ما قال عنه ابن خلجان "وجاءني مراراً بسبب أداء شهادات وسألته عن مواضع في العربية مشكلة، فأجاب عنها أبلغ إجابة بسكون كثير وتثبت تام، من ذلك مسألة اعتراض الشرط على الشرط في قولهم، إن أكلت إن شربت فأنت طالق، لم تعين تقديم الشرب على الأكل بسبب وقوع الطلاق، لو أكلت ثم شربت لا تطلق؟ ولم يذكر صاحب الوفيات جواب المسألة لكن ذكره ابن الوردي (تاريخ ابن الوردي، 257/2)

آراء ابن الحاجب:

والجدير بالذكر أن لابن الحاجب بعض الآراء التي اختارها وكانت سبباً في اشتهاره مثل: إعراب جمع المذكر السالم والمثنى بالحروف حيث قال في متن الكافية:

(المثنى و "كلا" مضافاً إلى مضمر، واثنان بالألف والياء وجمع المذكر السالم و (ألو) وعشرون "أخواتها بالواو والياء".

وفي (شرح الكافية) بّين ابن الحاجب أن (أصل ما أعرب أن يعرب بالحركات، لأنها أخف من الحروف فوجب أن لا يعدل عنها إلا لغرض) ذكر ما رآه من الغرض ولعله أعرب بالحروف ثم قال: "فثبت بذلك تعليل إعراب المثنى بالألف في الرفع وبالياء في النصب والجر وإعراب المجموع بالواو في الرفع وبالباء في النصب والجر). (الجامي، الفوائد الضيائية، ص27)

وسبب اشتهار ابن الحاجب هو اختياره هذا الإعراب واختياره في تدريس النحو للمتعلمين منذ عصر ابن الحاجب إلى عصرنا مع كونه على خلاف رأي سيبويه وجمهور البصريين.

هذا إن دلّ إنما يدل على تأصيله للقواعد وانزاله ما في الواقع عن طريق التدريس، والذي يؤكد ذلك متابعة العلماء له دون انتقاد أو ميل.

وقد تابع ابن مالك ابن الحاجب في اختياره هذا الرأي فزاد اشتهاره.

– ومثل ذلك ارتفاع الفعل المضارع بتجرده، من الناصب والجازم، قال ابن الحاجب في متن الكافية: (ويرتفع، أي: الفعل المضارع – إذا تجرد عن الناصب والجازم نحو (يقوم زيدٌ).

وقال في (شرح الكافية): هذا أقرب على المتعلم من قولهم: يرتفع إذا وقع موقع الاسم، لأنه ترد عليه اعتراضات مشكلة، وتحتاج إلى الجواب عنها، مثل قولهم(كاد زيد يقوم، وأوشك يجيء) وأشباههما، وإذا عرف تجرده، وضح، ولم يرد عليه الإشكال. (الجامي، الفوائد الضيائية، ص28)

فاختار ابن الحاجب هذا الإعراب وعلله مراعياً بذلك فائدة المتعلمين، فكان سبباً في اشتهاره بين النحاة والمتعلمين إلى يومنا هذا مع كونه مذهب الكوفيين، وعلى رأي الزمخشري في المفصل حيث اعتمد مذهب البصريين الذي تركه ابن الحاجب وهو (ارتفاع المضارع بصحة وقوعه موقع الاسم) (الزمخشري، المفصل، ص245) وقد تبع ابن مالك ابن الحاجب في اختيار هذا الرأي أيضاً .

أساتذته: فقد انتهل العلوم عن علماء عصره كأمثال الشاطبي (ت 590هـ) أخذ منه القراءات والبصيري (ت 599هـ) أخذ عنه الحديث والأبياري (ت 618هـ) أخذ عنه الأصول والفقه وقرأ كتاب الشفا على الشاذلي (ت 656هـ). (ابن الحاجب، شرح الوافية، ص15)

طلابه: داود بن الملك المعظم عيسى (ت 656هـ) أخذ عنه النحو ولشدة تعلقه به نظم له الكافية باسم (الوافية نظم الكافية وشرح النظم).

ابن مالك الأندلسي محمد بن عبدالله (ت 672هـ) وتأثر ابن مالك بابن الحاجب لدرجة أطلق على مؤلفاته نفس مسميات ابن الحاجب وهو موضوع هذه الدراسة. (نفس المصدر، ص16)

آثاره: لقد ألف ابن الحاجب كتباً قيمة نالت إعجاب الباحثين، فتلقوها بالشرح والمناقشة والتعليق، لأهميتها العلمية.

ثانياً: لمحة تاريخية عن ابن مالك:

نسبه: هو جمال الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن مالك الطائي الجباني، ولد سنة 598هـ كنيته أجمعت مصادر سيرة ابن مالك على أنه كان يكنى بأبي عبدالله. (دائرة المعارف الإسلامية، المجلد، ج1، ص272)

ولقبه جمال الدين كما أجمعت عليه المصادر وهناك لقب آخر انفرد به ابن طولون وهو: "جلا الأعلى". (هداية السالك إلى ترجمة ابن مالك، ص1)

مواطن ولادته: الغريب في الأمر اختلف المؤرخون في تاريخ مولده كما اختلفوا في موطن ولادته ويرجع ذلك إلى: هجرة الشيخ وهو صغير –الغموض التام الذي أسدل ستاراً كثيفاً حول حياته في الأندلس فأخفاها عن العين – اقتران نبوغ الشيخ بدمشق مما غر بعض العلماء فتوهموا أن ابن مالك مولود فيها. (سركيس، معجم المطبوعات، 234) والراجح أن المصنف ولد في "جيَّان الحديد" وهي بلدة من مشاهير بلاد الأندلس. (الاصخري، المسالك والممالك، ص35 – ينظر الثعالبي – يتيمة الدهر، البستاني، دائرة المعارف، المجلد6، ص632)

والذي يؤكد ذلك أن المصنف كتبه بقلمه في إجازتين علميتين لتلميذه ابن جغوان (الشيخ شمس الدين أبو عبدالله محمد بن عباس بن أبي بكر بن جغوان) في نهاية كتابه "إكمال الإعلام في تثبيت الكلام".

ثقافته العلمية: نشأ ابن مالك – رحمه الله –ولوعاً بالعلم، مجاً للثقافة، مقبلاً على مؤلفات القدماء يلتهمها التهاماً، ويهضم ما فيها، متريثاً أمام نصوصها شأنه في ذلك شأن الطالب المعتمد على نفسه الذي يقرأ بفكر واعٍ.

وقد جمع الله – تعالى – له الأسباب التي تؤهله لأن يكون رجلاً عظيماً "واحد عصره" (المقري – نفح الطيب 257/7، مرآة الجنان 174/4، دائرة معارف القرن العشرين، مجلد 431/9)

فهيأ له البيئة التي تموج بالعلم، ومنحه العقل المفكر، والذهن الألمعي، والحافظة الذاكرة، والرغبة الدافعة، وتنقله بين البلدان أتاح له فرصة الاتصال بكبار العلماء فأفاد منهم ما استطاع، فوعى علوم كثيرة منها: اللغة – والنحو والصرف – والأدب – والعروض – والقراءات والحديث والتاريخ ... فتنوعت دراساته حتى كادت تشمل أكثر علوم العربية في عصره. (المقري – نفح الطيب 279/7، 283 – فوات الوفيات 237/2 – دائرة معارف البستاني مجلد 675/1).

حياته: ورد في كتاب تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد بخط ابن مالك مؤلفه: "... إنه أعرف أهل زمانه بعلوم القراءات والنحو واللغة وفنون الأدب ..." (السيوطي – حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة 75/2) هذه الرسالة تعطي صورة واضحة، لحياة ابن مالك. (المقري – نفح الطيب 295/7)

ولكنه الاعتداد بالنفس الذي قضى عليه أن يلابس دهره كما شاء في الجملة، لا كما أراد بالتفصيل. فضحك لجوانب الحياة المظلمة، وهزأ بما يراه غيره نعمة ورضي من الزمان حلوه ومره، وقنع بالعيش يسره وعسره، وفي الرضا والقناعة عزاء للنفس، وشفاء للروح.

أخلاقه: حبا الله – تعالى – ابن مالك بأخلاق عالية، وطبعه على خلال حميدة، فغدا موضع الرضا، والاحترام والتكريم والتبجيل من كل من عرفه، أو اتصل به.

وهو في نظر مؤرخيه كثير العبادة، حسن السمت، كامل العقل (فوات الوفيات 227/2، نفح الطيب 63/7 – مرآة الجنان 173/4، دائرة معارف البستاني، مجلد1، ص674، دائرة معارف القرن العشرين، مجلد9، ص431، بغية الوعاة، ص53) مهذب ذو رزانة وحياء ووقار (المقرى – نفح الطيب 278/7) لا يرى إلا وهو يصلي، أو يصنف، أو يقرئ، فله الدين المتين، والتقوى الراسخة (السبكي – طبقات الشافعية الكبرى، 28/5) والعفة (حاشية الخضري علي بن عقيل، ص6)

ولعل أوضح أخلاق ابن مالك الترفع والإباء والاعتداد بالنفس، وما يؤكد ذلك ما رواه صاحب نفح الطيب قال: (لما سئل ابن مالك عن قول النبي – صلّ الله عليه وسلم – "نعوذ بالله من الحور بعد الكور" أي النقصان بعد الزيادة أو من فساد أمورنا بعد صلاحها. هل هو بالراء أم بالنون؟ أنكر النون. فقيل له: "إن في الغريبين للهروي "رواية بالنون" فرجع عن قوله الأول). هذا يشير إلى مدى تواضعه ومراجعة الحق.

وفاته: إن كان بعض المؤرخين ممن تحدثوا عن المصنف أغفل عام ولادته، فإن واحداً منهم لم يغفل يوم وفاته.

أولاً: طريق الجمهور أنه توفي في يوم الأربعاء الثاني عشر من شعبان سنة 672هـ.

ثانياً: طريق العلامة الثمني (حاشية الثمني على المغنى 06/1) أنه توفي في يوم الأربعاء الثاني عشر من شعبان سنة 671هـ.

ثالثاً: طريق العلامة العيني (عقد الجمان، ج2، القسم الثالث) أنه توفي في ليلة الأربعاء لاثنين عشرة ليلة خلت من رمضان سنة 672هـ.

والراجح هو رأي الجمهور أي الأول والذي يؤكد ذلك ما كتبه تلميذ بقلمه في صدر كتابه "إكمال الأعلام في تثليث الكلام" (راجع متن البحث، ص2) عند الحديث عن نسبه وموطن ولادته.

عصر ابن مالك: ولد المصنف في الأندلس، وقضى زهرة شبابه وخريف حياته في الشام ولكل من المنطقتين أثر فيه، لذا كان لزاماً علينا من قريب أو بعيد أن نتعرض للحياة في الأندلس، وللحياة في الشام من النواحي السياسية، والعلمية، والاجتماعية لما لها من أثر بالغ في شخصية ابن مالك لأن الإنسان لا يمكن أن ينفصل عما يدور حوله في بلد يحيا فيه.

لقد قضى ابن مالك صدر حياته في الأندلس في وقت اشتدت فيها المعارك بين المسلمين والفرنجة، وتساقطت البلاد في تلك الحقبة في يد الأعداء تباعاً، هذا في الداخل مثل آثار حروب التتار والصليبيين والدولة العباسية آنذاك تلفظ بأنفاسها الأخيرة ثم تسقط وتقوم على أنقاضها دول أخرى.

وفي الوقت ذاته عاصر ابن مالك نهضة علمية عارمة في الأندلس، والمشرق الإسلامي أصبحت ملجأ للعلماء الفارين من المشرق والراحلين من المغرب حيث كانت فرصة لتكاتف العلماء من أجل إنقاذ ما يمكن إنقاذه من التراث الثقافي الإسلامي الذي كاد يجني عليه الجهل، والظلم، والتوحش.

وكان لإقبال الحكام، وأولي الأمر على العلم، وتقريبهم أساتذته، وتشجيعهم طلابه، تيسيرهم سبل الحياة للراغبين فيه ومعاونتهم بإقامة المكتبات وتسابقهم في تشييد المدارس في مختلف أرجاء البلاد أثره الذي لا ينكر في ازدهار العلوم والفنون.

على أن الحركة العلمية في المشرق والمغرب كانت متقاربة، وتسير في اتجاه واحد، على هذا اتحاد المنبع الذي كان يروى غلة علماء العربية في كل مكان.

وهجرة العلماء من مكان إلى آخر حيث كان الوطن الإسلامي كله كوادي النمل لا يخلو من جماعات تذهب، وجماعات تجيء، ومن أهم أسباب التقارب في الحركة العلمية بين المشرق والمغرب:

– أن علماء المغاربة بدأوا حياتهم العلمية باقتفاء أثر العلماء المشارقة، وتتبعهم والسير في منهجهم، والنسج على منوالهم.

– اختلاف الناس في الأخلاق وفي العادات، والتقاليد، كما اختلفوا في فهم الحياة، وألوان المعيشة فانقسم المجتمع إلى طبقات.

هذا وقد كان المجتمع الذي يضم ابن مالك بين أحضانه مجتمعاً مضطرباً، اختلطت فيه الدماء والأجناس بالأحداث، فتميز أهله بالميل الشديد إلى الثورة.

وقد كان كل هذا أو بعضه داعياً لابن مالك ولأمثاله من العلماء المخلصين إلى أن يعتزلوا المجتمع، ويبتعدوا عنه، منقطعين للعلم والعبادة مؤثرين التمسك بأهداب الدين.

لذلك لم يحفظ التاريخ أن ابن مالك شغل منصباً أو وظيفة مهمة ذا قيمة، بل قنع طوال حياته قارئاً متواضعاً همه في حياته: "الدين والعبادة وكثرة النوافل". (المقرى – نفح الطيب 363/7، السيوطي، بقية الوعاة ص53، ابن الحاجب – شرح الوافية ص33)

آثار ومصنف ابن مالك العلمية:

عزف الشيخ – رحمه الله – عن مجتمعه، وشغل نفسه بالعلم، فعشقه، وأكب على الدراسة فشغف بها، ومال إلى ما خلفه الأقدمون فالتهمه التهاماً، وساعده على ذلك ذكاء حاد، وقريحة وقادة، ونفس صافية، وطبيعة ناقدة حافظة.

وكانت مهمته التأليف والتصنيف حيث كانت مهمة صعبة وشاقة ذلك أن الذين كانوا يحضرون دروسه متفاوتون في المستويات العقلية، والعلمية، والاستعدادات الشخصية، وكان عليه أن يلبي رغبات الجميع ليشبع نهمهم.

ومن أهم مصنفاته ما يلي:

1– تسهيل الفوائد، وتكميل المقاصد. (السيوطي، حسن المحاضرة، 75/2)

2– شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح. (العسقلاني على البخاري 141/1).

3– الكافية الشافية وهو الكتاب الذي نحن بصدد دراسته.

4– الاعتضاد في الفرق بين الظاء والضاد، قدمه هدية للملك الناصر.

5– إكمال الإعلام في تثليث الكلام، إجازتين لتلميذ ابن مالك هو ابن جغوان.

المحور الثاني: وصف كافية ابن الحاجب والكافية الشافية لابن مالك:

قد اطلعت الأجيال على جهود قسم من أولئك الذين نذروا أنفسهم لخدمة اللغة العربية، وابن الحاجب أحد أولئك الرواد الذين أمدوا هذه الأمة بعين ثرة من العلم والأدب، فقد أفاد طلابه ونفع المتأخرين، وقد كرست جهدي لإظهار كتابه (الكافية)، لم أجد من تعرض لذكر زمن تأليفه لا من المؤرخين ولا من المؤلف نفسه.

كان يهدف ابن الحاجب من تأليف الكافية، تقديم مؤلف بطريقة منهجية جديدة، وبأسلوب تعليمي ناجح للمهتمين بالعربية عامة وللطلاب خاصة.

سمات الكافية: على الرغم من شهرة الكافية إلا أنه مؤلف صغير الحجم، أودع المصنف فيه جل خبرته مع سلامة منهجها وقوة مادتها، وشمولها كل أبواب النحو، كثرة شراحها حيث بلغ مائة ولحدى وأربعين شرحاً ، اشتملت على آراء واستدراكات في شرح الوافية علماً بأن للكافية نظم يسمى "الوافية نظم الكافية".

محتوى الكافية: فقد احتوت الكافية مع صغر حجمها كل أبواب النحو حيث اشتمل على الكلمة والكلام – الإعراب – الممنوع من الصرف – المرفوعات– المنصوبات – المجرورات – التوابع – عطف البيان – المبني – المضمر – نون الوقاية – ضمير الفصل – ضمير الشأن والصفة – أسماء الإشارة – الموصول – أسماء الأفعال – أسماء الأصوات – المركبات – الكنايات – الظروف – المعرفة والنكرة – العدد – المذكر والمؤنث – المثنى – الجموع – المصدر – اسم الفاعل – اسم المفعول – الصفة المشبهة – اسم التفضيل.

الأفعال: (الفعل الماضي، الفعل المضارع، نواصب الفعل المضارع، جوازم الفعل الماضي، فعل الأمر، فعل ما لم يسمَّ فاعله، المتعدي وغير المتعدي، أفعال القلوب، الأفعال الناقصة، أفعال المقاربة، أفعال التعجب، أفعال المدح).

الحروف: (حروف الجر، الحروف المشبهة بالفعل، الحروف العاطفة، حروف التنبيه، حروف النداء، حروف الإيجاب، حروف الزيادة، حرفا التفسير، حروف المصدر، حروف التحضيض، حرف التوقع، حرف الاستفهام، حرف الشرط، حرف الردع، تاء التأنيث الساكنة، التنوين، نون التأكيد).

وصف كافية ابن مالك:

نسبة الكتاب إلى مؤلفه وتاريخ تأليفه قبل 648هـ زمن تولي الملك الناصر حكم دمشق: يعزى كتاب الكافية والشافية لابن مالك بلا مراء ولا نزاع، والذي يؤكد ذلك نص المؤلف صراحة في نهاية فصل (الآلة) وهو آخر فصول الأرجوزة حيث قال:

فمن دعاها قاصدا بالكافية مصدق ولو يزيد الشافية

الهدف من تأليف كتاب الكافية:

قد ذكر الناظم الهدف الداعي إلى النظم، وقد حصره في شيء واحد هو قصد إفادة المتعلمين بما اجتهد هو في تحصيله من علم يخشى أن يمضي دون أن يفيد به أحد:

حيث قال:

قال ابن مالك محمد وقد نوى إفادة بما فيه اجتهد

(ابن الحاجب، الكافية، ص38–39)

المحتوى: قد احتوى كتاب الكافية مادة علمية غزيرة ولا ريب في ذلك ونلحظ ذلك في قول المؤلف:

أبياته ألفان مع سبعمائة وزيد خمسون ونيف أكمله

وقد جاءت مقدمة الأرجوزة في سبعة عشر بيتاً والختام في خمسة، والباقي اختص بالمادة العلمية.

الطبع والتحقيق:

بلا شك أن مثل هذا السفر حريٌّ بأن يتهافت عليه العلماء والمهتمين بأمر العربية من حيث الشرح والتعليق والطبع والتحقيق، ولعل المؤلف نفسه بدأ بشرحها ذلك ما وقع في يدي نسخة في أربع أجزاء بتحقيق الدكتور/ عبدالمنعم أحمد هريري، وتولى أمر نشره دار المأمون للتراث.

السمات البارزة لكتاب الكافية:

هذا المؤلف عنوانا على عظمة مؤلفه واقتداره، وسعة اطلاعه وغزارة علمه، فهو بجانب ذلك كتاب جامع مفيد، وباستطاعة القارئ أن يلمح فيه بعض السمات البارزة من أهمها:

1- سهولة الأسلوب:

عمد المصنف – رحمه الله – إلى استخدام أسلوب سهل مبسط، ينساب برفق فيسيل عذوبة وحلاوة ويبعد القارئ عن الملل. مثل: قول المصنف: "إذا عُين لك اسم من جملة، وقيل لك: كيف تخبر عنه؟ فصدر بما يطابقه من "الذي" وفروعه مجعولاً مبتدأ، وأخبر المسئول عنه مجعولاً خبراً، واجعل في موضعه ضميراً يخلفه فيما كان له من الإعراب عائداً إلى الموصول. مطابقاً له، وما بين الخبر والموصول صلة له...

فإذا أخبرت عن التاء من قولك "بلغت من الزيدين إلى العمرين رسالة" قلت الذي بلغ من الزيدين إلى العمرين رسالة أنا" فإن أخبرت عن "العمرين" قلت "الذين بلغت من الزيدين إليهم رسالة العمريون". فإن أخبرت عن "الرسالة" قلت "التي بلغتها من الذين إلى العمرين رسالة" (ابن مالك – شرح الكافية – ص 52-53)

ومن هنا تتضح براعة المصنِّف في إيراد الأمثلة، فقد اشتمل مثاله الحكاية عن:

- الضمير، والظاهر.
- العاقل، وغير العاقل.
- المفرد، والمثنى والجمع.

2- توضيح بعض الكلمات:

كثيراً ما يبادر المصنف بتوضيح المراد من الكلمات الغريبة وبيان معناها من ذلك قوله عن الحال:

ويقتفر – أيضاً – جمودها فيما يدل على النوع نحو: "هذا خاتم فقه" و"هذه جبتك خزا" وها من أمثلة الكتاب.

وهذا يقارب قول: زُكا تمرنا عنباً عنجد" "وحبذا المال فضة وعسجدا" والعنجد: هو الزبيب، والعسجد: هو الذهب. (شرح الكافية، ص53-54)

3- شرح بعض الأمثلة وأبيات الشعر لزيادة الوضوح:

من ذلك قوله: "اشتهر القول بأن "كاد" إثباتها نفي، ونفيها إثبات حتى جعل هذا المعنى لغزاً فقيل:

أنحوي هذا العصر ما هي لفظة جرت في لساني جرهم وثمود

إذا استعملت في صورة الجحد أثبتت وإن أثبتت قامت مقام جحود

ومراد هذا القائل (كاد)

ومن زعم هذا فليس بمصيب، بل حكم (كاد) حكم سائر الأفعال في أن معناها منفي إذا صحبها حرف نفي، وثابت إذا لم يصحبها.

فإذا قال قائلها: (كاد زيد يبكي) فمعناه: قارب زيد البكاء، فالمقاربة ثابتة، ونفس البكاء منتف.

فإذا قال: (لم يكد يبكي) فمعناه: لم يقارب البكاء، فمقاربة البكاء منتفية، ونفس البكاء منتف انتفاء أبعد من انتفائه عند ثبوت المقاربة.

هذا قول صحيح بليغٌ ، معناه: إذا تغير حب كل محب لم يقارب حُبي التغير، وإذا لم يقاربه فهو بعيد منه.
فهذا أبلغ من أن يقول: لم يبرح لأنه قد يكون غير بارح، وهو قريب من البراح، بخلاف المخبر عنه ينفي مقاربة البراح.
4- التنبية على اللغات الواردة في بعض الكلمات:
مثال ذلك: كقوله يتحدث عن (الذي) و (التي) وفيهما أربع لغات:
تخفيف الياء، وتشديدها، وحذفها مع كسر ما قبلها، وحذفها مع سكون ما قبلها.
مثال التشديد نحو قول الشاعر:

أبياتـــه ألفـــان مـــع ســـبعمائة وإن أغنـــــــاك إلا الـــــــذي

يريـــد بـــه العـــلا ويعطيـــه لأقـــرب أقربيـــه وللقصـــبي

ومثال الحذف مع بقاء الكسر:

لا تعـــذل اللـــذ لا ينفعـــك مكتســـبا حمـــداً ولـــو كـــان لا يبقـــى ولايـــذر

5- التنبيه على الأحكام: ابن مالك لا يفتأ من مسألة لأخرى يبين الأحكام، وينبه عليها ومن ذلك:
التنبيه على الواجب، المطرد، المشهور، الأشهر، الغالب، الكثير، الأكثر، الحسن، الأحسن، المختار، الراجح، الأولى، الجائز، القليل، النادر، الضعيف، الأضعف، الشاذ، الأشذ.
وقد اكتفيت هنا بذكر المواضيع دون الأمثلة تجنباً الإطالة لأن المقام لا يسع:
6- الاقتصار في الشرح على الآراء التي وردت في النظم – غالباً.
7- اختيار الرأي في النظم، والسكوت عن ذلك في الشرح.
8- رعاية حقوق العلماء:
ابن مالك – رحمه الله – عالم يحب العلماء، ويعرف قدرهم، ويحترمهم في ظلال احترام ما يصدر ويتجلى ذلك فيما يلي:
أ- الدفاع عنهم. ب- تمحيص ما ينسب إليهم من آراء. ج- حمل كلام العلماء على المشهور من القواعد. مثل ما دار بين الأخفش وسيبويه، وكذلك برأ أهل الكوفة من القول بأن الواو للترتيب، حيث قال ابن مالك: "وليس بمعيب، وأئمة الكوفة براء من هذا القول، لكنه مقول". (ابن مالك، شرح الكافية، ص18)
9- مراعاة أدب الحديث حتى مع المخالفين له: وقد دعت أخلاق ابن مالك الفاضلة إلى ذلك.
10- الاستشهاد بالقراءات: والذي ساعده على ذلك دراية تامة بعلم القراءات.
11- الدفاع عن القراء:
ابن مالك قارئ يحب القراء، ويدافع عنهم، ويقف بجانبهم، والحق معهم دائماً، ولم يمعنه من هذا الموقف رد كثير من العلماء لبعض القراءات، ورمي أصحابها بالخطأ، واللحن كما فعل الزمخشري في قراءة ابن عامر "وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم".
قال ابن مالك: (شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد 41/1 (مخطوطة دار الكتب المصرية، 10ش) نحو: "الفصل بالظرف والجار والمجرور بين المضاف والمضاف إليه كثير فمن ذلك قول الشاعر:

كمـــا خـــط الكتـــاب بكـــف يومـــاً يهـــــودي يقـــــارب أو يزيـــــل

13- الاستشهاد بالحديث: حيث بلغ في كتابه "شرح الكافية" بضعاً وسبعين حديثاً نبوياً استمدها ابن مالك من الكتب الصحاح وساعده على ذلك درايته التامة بعلم الحديث.

وفي استدلاله بالحديث قد يثبت ابن مالك المراجع التي استمد منها كقوله في "باب القسم" يتحدث عن "أيمن" (شرح الكافية الشافية لابن مالك – الورقة 38ب)

يضاف في لغاته كلها إلى (الله) ولا يضاف إلى غيره منقوصاً إلا ما ندر في حديث النبي صلَّ الله عليه وسلم. ومن كلامه في الصحيحين: "وأيم الذي نفس محمد بيده لو قال (إن شاء الله) لجاهد وأتي سبيل الله فرساناً أجمعين".

وقد لا يثبت ابن مالك المرجح الذي استمد منه الحديث كقوله يتحدث عن علامات الاسم (شرح الكافية، الورقة (أ) وما بعدها) "وجعله معرفاً يتناول تعريف الإضافة، والتعريف بحرف التعريف سواء قيل إنه اللام وحدها على ما ذهب إليه سيبويه، أو أنه الألف واللام معاً على ما ذهب إليه الخليل ويتناول ذلك – أيضاً – التعريف بالألف والميم على أهل اليمن، وقد تكلم بها الرسول – صلَّ الله عليه وسلم – إذ قال: "ليس من أمبر أمصيام في امسفر" يريد: ليس من البر الصيام في السفر.

وقد يذكر ابن مالك الحديث على وجه لا ينبئ عنه كقوله في باب الاختصاص المشابه للنداء:

قد جاء بلام على صورة هي لغيره توسعاً عند أمن الالتباس فمن ذلك ورود الخبر بصورة الأمر، وورود الأمر بصورة الخبر، وورود الخبر بصورة الاستفهام، وورود الاستفهام بصورة الخبر ومن ذلك ورود الاختصاص بصورة النداء كقولهم:

"اللهم اغفر لنا أيتها العصابة، ونحن معاشر الأنبياء لا نورث ...".

ومهما يكن من شيء فإن ابن الحاجب كان يعتد بالحديث أصلاً ثانياً في إثبات القواعد بعد القرءان الكريم. (ابن مالك شرح الكافية، ص91)

13- الإشارة إلى المراجع:

ذلك كقوله يتحدث عن الحروف المفتتح بها السور (ابن مالك، شرح الكافية الشافية، ص4ب) "وبعضهم يجعلها معربة لأنها تتأثر بالعوامل لو دخلت عليها، وهذا اختيار الزمخشري في الكشاف". (ابن مالك شرح الكافية الشافية، ص94)

15- استخدام الأساليب المنطقية في الاستدلال:

كثيراً ما يلجأ ابن مالك إلى الأساليب المنطقية في إقامة حججه، أو هدم أدلة خصومه وهذا يدل على أنه نال قسطاً وافراً من العلوم اللسانية ساعده على إقامة الأدلة النظرية التي تؤيد آراءه، كما وفقه في الوصول إلى استنتاج أقيسة دقيقة على ما صح من كلام العرب.

من ذلك قوله في باب العطف يستدل لرأيه في (ما) المسبوقة بمثلها. (شرح الكافية الشافية، الورقة 56أ) "وأما المسبوقة بمثلها عاطفة عند أكثر النحويين".

ومذهب ابن كيسان وأبي علي أن العطف إنما هو بالواو التي قبلها.

وبقولهما أقول: لأنه في ذلك تخلص من دخول عاطف على عاطف. ولأن وقوعها بعد الواو مسبوقة. بمثلها شبيه بوقوع (لا) بعد الواو مسبوقة بمثلها في مثل "لا زيد، ولا عمر وفيها".

و(لا) هذه غير عاطفة بإجماع فلتكن (اما)مثلها إلحاقاً للنظير بالنظير، وعملاً بمقتضى الأولوية.

وذلك أن "لا" قبل مقارنة الواو صالحة للعطفية بإجماع. ومع ذلك حكم بعدم عطفهما عند مقارنتها.

16- تبرير أمور وقعت في النظم:

وجد ابن مالك في الشرح فرصة لتبرير أمر اضطره النظم إليه. من ذلك ما ورد عند شرحه للبيتين الآتيين في باب ما ينصرف وما لا ينصرف:

قال ابن مالك:

وزائـــــداً (فعـــــلان) صـــــفاً قـــــابلاً (فعلـــى) ومـــا يلقـــي لتـــاء قـــابلاً

وجهان في (فعلان) وصفاً إن عدم في الوضع تأنيثاً كان من (رحم)

قال المصنف في الشرح:

الثاني من الأنواع الخمسة التي لا تنصرف في التعريف ولا في التنكير وكل صفة على (فعلان) لا تلحقها تاء التأنيث إما لأن لها مؤنث على (فعلي) فاستغني به كـ(سكران) و (غضبان).

وإما لكونها صفة لا مؤنث لها كـ (لحيان) وهو الكبير اللحية ... ثم قال والتمثيل بـ "لحيان" بالتمثيل بـ (الرحمن) لوجهين:

أحدهما: أن (الرحمن) بغير ألف ولام دون نداء، ولا إضافة غير مستعمل فلا فائدة في الحكم عليه بانصراف ولا منع.

الثاني: إن الممثل به في هذه المسألة معرض لأن يذكر موصولاً بالتاء، أو بألف (فعلى) مجرداً منهما لنظر ما هو الأحق به، والأصلح له. وتعريض (الرحمن) لذلك مع وجدان مندوحة عنه مخاطرة من فاعلة. فلذلك مثلت بـ "لحيان".

17- الاعتداد بالنفس في غير غرور:

رغم ثقة ابن مالك فيما يورد من آراء وأحكام في المسائل المختلفة لم يأخذه الغرور فلم يصدر أحكامه قاطعة، ولم يطلق القول على عمومه، وإنما كان يحترس معترفاً بأن ما أورده هو منتهى علمه، وهذا من تواضع العلماء.

وذلك كقوله: (شرح الكافية الشافية، الورقة 69ب)

وممن صرح بإلغاء عجمة الثلاثي –مطلقاً – السيرافي وابن برهان، وابن خروف، ولا أعلم لهم من المتقدمين مخالفاً .

وقوله:

وبينت أن في (كأين) خمس لغات، وأصلها (كأي) وهي أشهرها وبها قرأ السبعة إلا ابن كثير:

ويليها (كائن) وبها قرأ ابن كثير والبواقي.

وقرأ الأعمش وابن محيصن (كأْيِن) بهمزة ساكنة بعد الكاف، وبعدها ياء مكسورة خفيفة بعدها نون ساكنة في وزن (كعين) ولا أعرف أحد قرأ باللغتين الباقيتين.

المحور الثالث: ما بين كافية ابن الحاجب وكافية ابن مالك:

أولاً : من حيث الأهداف والمسائل النحوية:

قد خطت الدراسات النحوية والصرفية خطوة عظيمة في زمن ابن الحاجب، الذي كان هدفه تطوير الاتجاه التعليمي، حيث أودع في (الكافية) الجمع بين تطوير المنهج وشموله لجميع المقاصد النحوية، لذلك جاءت صغيرة الحجم نتيجة لحذف المناقشات الجانبية التي تجلب الصعوبة والملك للمتعلم لذلك كانت محط أنظار النحاة المعاصرين لابن الحاجب والمتأخرين عنه. (السيوطي، وفيات الأعيان 494/3، ابن الحاجب، شرح الكافية، ص26) وهذا هدف ابن الحاجب من تأليفه "الكافية"، تقديم مؤلف بطريقة جديدة وبأسلوب تعليمي. (متن البحث وصف الكافية، ص..)

وقد ذكر ابن مالك الهدف من تأليفه "الكافية الشافية" وهو الهدف الذي قصده ابن الحاجب وهو إفادة المتعلمين إلا أننا نلاحظ الآتي: نجد ابن الحاجب كان أكثر توفيقاً حيث استطاع أن يحصر أفكاره في مؤلف صغير يجذب القراء والمهتمين؛ (ابن مالك، شرح الكافية الشافية، ص38) أما ابن مالك على الرغم من اجتهاده إلا أننا نلاحظ الحجم الهائل من الأبيات البالغة ألفين وسبعمائة ونيف وخمسين، مهما يكن من شيء فإن النفور والملل حاضرتان وخاصة من المتعلم الذي دائماً يميل إلى الاختصار لأنه الأسهل في التحصيل العلمي.

ثانياً: من حيث التأثير والتأثر:

سلك النحاة طريقة سيبويه بتأليف المطولات في النحو إلى زمن الزجاجي والفارسي، حيث مالوا إلى المختصرات تسهيلاً على الدارسين، فإذا وصلنا إلى زمن الزمخشري، وجدناه يخرج عن التقليد القديم ويبدأ بالتجديد في التنظيم المنهجي، فقد قسم المفصل إلى أربعة أقسام: الأسماء، الأفعال، والحروف، والمشترك، وكان مثالاً احتذاه ابن الحاجب في التأليف النحوي لذلك اشتهر كتابه في زمن السلاطين الأيوبيين، وخاصة في عهد الملك الناصر؛ فتأثر ابن الحاجب بالزمخشري يتمثل في التقسيم وليس في طريقة التأليف والشرح.

أما ابن مالك فلم يكتف بشرح كافية ابن الحاجب فحسب بل تابعه بطريقة التأليف، وسار على منهاجه، وزاد على ذلك في متابعته بأسماء مصنفاته النحوية والصرفية، فقد أطلق على منظومته في النحو والصرف (الكافية الشافية) (مقدمة التسهيل، ص18، 29) ثم شرح هذه المنظومة وأسماها (الوافية) (مقدمة التسهيل، ص19) ولا يخفى على أحد أن هذه أسماء مصنفات ابن الحاجب، وهو الذي وضعها، ولم يسبقه أحد في ذلك، وبذلك تكون متابعة ابن مالك له واضحة لا تخفى.

ملاحظة مهمة: أن ابن مالك رغم هذا كله لم يعتز بشيخه بل تعدى إلى حد الاستخفاف حيث يقول ابن مالك عن ابن الحاجب وشيخه الزمخشري:

"إنه أخذ علمه عن صاحب المفصل، وصاحب المفصل نحوي صغير) (السيوطي، بقية الوعاة، ص555، نفح الطيب 272/7)

ثالثاً: من حيث الشروح والحواشي:

شرح ابن الحاجب الكافية (مطبوع) في استانبول سنة (1311هـ) ونسخة فهرس مكتبة بلدية الإسكندرية رقم: (ن، 263، ت23/1) المطبوع نادرة، منه نسخة مخطوطة في مكتبة بلدية الإسكندرية وأخرى في خزانة فيض الله أفندي باستانبول رقم: (1915) (مجلة الورد، المجلد الثامن العدد الأول، ص331) وقد ذكر الأستاذ طارق عبدون أكثر من سبعين شرحاً (بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، 305/5 ، معجم المطبوعات العربية والمصرية، ص71-72).

هذا إن دل إنما يدل على اعتزاز النحاة بأهمية الكافية ولعل أشهر الشروح شرح الرضي.

ومن حيث المنظومات والحواشي:

نظمها ابن الحاجب للملك الناصر داود بن الملك المعظم وسماها الوافية منها نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية (فهرس دار الكتب المصرية، 174/2) حيث بلغ عدد المنظومات تسع منظومة طلعت بأماكن وأزمان مختلفة.

ومن حيث شروح المنظومات الكافية:

1- شرح ابن الحاجب المنظومة بشرح سماه: (شرح الوافية نظم الكافية) وتابعه العلماء حتى بلغ أربع الذين شرحوا منظومات الكافية. بهذا يتأكد للدارس أن كتاباً بهذا الاهتمام من جمهرة النحاة المعاصرين لصاحبها والمتأخرين عنه، تحتل المرتبة الأولى بكثرة الشروح والتعليقات والنظم، حيث لم يصل أي مصنف من مصنفات النحاة إلى ما وصلت إليه (الكافية لابن الحاجب)

التي بلغت شروحها مئة وخمسين شرحاً، وإذا أضفنا إلى هذا العدد النظم وشرح النظم، وصل العدد إلى مئة وستين، وإذا أضفنا إلى هذا العدد الحواشي والشروح على الشروح لزاد العدد على المئتين.

وبذلك يمكنني القول: إن (كافية) ابن الحاجب أبرز كتاب اكتسب شهرة واسعة عند النحاة، وما كانت تلك الشهرة إلا أنه جديد في منهجه، جديد في اتجاهه التعليمي، مشوق في مادته. (ابن الحاجب، شرح الوافية، 54)

لم أجد من شرح (الكافية الشافية) لابن مالك غير أن المصنف هو أو من تصدى لشرح مؤلفه قال ابن مالك في مقدمة الشرح: "أما بعد حمد الله – تعالى – حق حمده، والصلاة والسلام على محمد رسوله وعبده، وعلى آله وصحبه الموفين بعهده فإني استخرت الله في تبيين ما تضمنه تعريف الأرجوزة الموسومة بالكافية الشافية والله بالإعانة كفيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل".

وظاهر ظهور الشمس حيث التباين الكبير بين الكافيتين لمؤلفيهما ابن الحاجب وابن مالك وكما أسلفت، لم يصل مصنف نحوي ما بلغ الكافية.

رابعاً: من حيث القبول والذيوع بين الدراستين:

إن حفظ النصوص المنظومة أسهل من حفظ النثر، لذلك اتجه العلماء إلى نظم القواعد النحوية واللغوية، تسهيلاً على الدارسين.

ومنظومة (الوافية)لابن الحاجب من المؤلفات المهمة، لأنها وفت بالمادة النحوية مع المحافظة على المنهج فهي وافية (للكافية) كما قال صاحبها:

وبعـــــــد إن هـــــــذه أرجـــــــوزة فـــي علـــم الإعـــراب أتـــت وجيـــزة

مـــــن أجلهـــــا أســـــميتها (بالوافيـــــة) لكونهـــــا وفـــــت بـــــنظم (الكافيـــــة)

مما يؤكد أن كافية ابن الحاجب أكثر شهرة وانتشاراً بين العلماء تهافت العلماء عليهاشرحاً ونظماً وتعليقاً، وذلك مما لم يتوفر لكافية ابن مالك.

ونتج عن هذه الموازنة:

أولاً : أهم نقاط التشابه والاتفاق:

– كل من ابن الحاجب وابن مالك قد هدف إلى تسهيل النحو واللغة عموماً للدارسين عن طريق تقديم دراسة منهجية مبسطة وبأسلوب مختصر وسهل دون إخلال.

– كلاهما قد سمى مؤلفه بالكافية حيث سمى ابن الحاجب كتابه في النحو والشافية في الصرف، بينما سمى ابن مالك كتابه "الكافية الشافية".

– كل من العالمين بدأ كتابه بالحمد ومهد بذكر الهدف الداعي إلى عمله وسمى كتابه بالأرجوزة.

حيث قال ابن الحاجب: الحمد لله على ما انعما * بجوده وفضله وكرَّما

إلى أن قال: ولم تكن أرجوزة من قبلها * جاءت على منوالها كمثلها (ابن الحاجب، شرح الوافية نظم الكافية، ص19 إلى 21)

– كلاهما افتتح كتابه ببيان الكلام وأقسامه:

حيث بدأ ابن الحاجب بالكلمة وعرفها وذكر أقسامها نحو:

اللفظ موضوع لمعنى مفرد * كلمة جنس ثلاث تفتدي

اسم وفعل ثم حرف تأتي * محصورة بالنفي والاثبات (شرح الشافية، ص21)

وقال ابن مالك:

قول مفيد طلباً أو خبراً * هو الكلام كـ (استمع وسترى)

الكلام عند النحويين عبارة عن كل لفظ مفيد (الكافية الشافية، ص157)

– كلا العالمين نظم كتابه من بحر الرجز

وتفعيلاته: مستفعلٌ ستاً

كلاهما سار على نهج ذكر النظم ثم يشرح المعنى مدعماً ذلك بالأمثلة وذكر آراء العلماء ويستشهد لذلك بالقرءان وكلام العرب.

– كلاهما تلى باب الكلمة وأقسامها بباب الإعراب والبناء؛ حيث قال ابن الحاجب في المعرب بالحرف:

والجمع إن كسرته والمفرد *منصرفين بالثلاثة يُسرد (ابن الحاجب، الوافية نظم الكافية، ص130)

وقال ابن مالك: في باب الإعراب والبناء وما يتعلق بذلك:

من الثلاث معرب منها * صنف هو المبني فابحث عنها (ابن مالك، شرح الكافية الشافية، ص174)

ثانياً: أهم نقاط الخلاف:

– قد قسم ابن الحاجب كتابه من حيث الموضوعات إلى ثلاثة أقسام:

أولاً : الأسماء: وتحتها المرفوعات والمنصوبات والمجرورات.

ثانياً : الأفعال: وذكر أقسام الفعل من حيث التعدي واللزوم.

ثالثاً : الحروف: وذكر أقسامها حروف الجر والنصب والجزم.

(ابن الحاجب، الكافية في علم النحو، ص11 وما بعدها، 44 وما بعدها 150–157)

أما ابن مالك زعم أنه تابع ابن الحاجب في تسمية مؤلفاته إلا أنه خالف شيخه في ترتيب الموضوعات وتقسيم الأبواب.

ومن حيث المحتوى والمادة العلمية:

بلغ عدد أبيات الكافية الشافية سبع وخمسين وسبعمائة وألفين (ابن مالك، الكافية الشافية، ص38) فقد استطاع ابن الحاجب أن يودع مادة كتابه في تسع وأربعين وثمانمائة بيتاً ، وموزعة على سبع وثمانين باباً .

ونلاحظ الفارق الكبير بين الشيخ ابن الحاجب وتلميذه ابن مالك ومعلوم أن الذي يستطيع الإتيان بجمل بسيطة متضمنة معاني عديدة هو الذي يمتلك ناصية اللغة.

– ومن حيث الاستشهاد فقد بلغ عدد الآيات القرآنية التي استشهد بها ابن الحاجب 136 آية وسبعة أحاديث واثنا عشر قراءة وأربع وثلاثون بيتاً من الشعر.

ثالثاً: أهم نتائج الموازنة:

1– أن ابن الحاجب كان موفقاً فيما سعى إلى تحقيقه حيث جاء كتابه صغير الحجم وشاملاً كل أبواب النحو؛ أما ابن مالك وإن كان قد جمع خلاصة تجاربه العلمية في كتاب واحد إلا أنه قد خانه الحظ حيث جاء مؤلفه كبير الحجم (أربع مجلدات) وهذا لا يناسب الدارسين.

2– ابن الحاجب لم يدخل المناقشات والاختلافات النحوية بين العلماء في كتابه.

3- ابن مالك أغفل ذكر آراء ابن الحاجب رغم تأثره به ومتابعته في تسمية مؤلفاته النحوية، لكن أسلوبه كان جاذباً وهو ما جعله أكثر شهرة.

رابعاً: مما يؤخذ على ابن مالك:

ومما يلحظ على ابن مالك ويقدح في مؤلفه أنه لم يذكر أن ابن الحاجب له قصب السبق حتى شاع بين المصنفين من بعده أنها من اختيارات ابن مالك دون غيره مع أن لابن الحاجب فضل السبق في هذا المضمار.

- وبهذا يفهم ترك السيوطي لذكر ابن الحاجب في هذه الاختيارات - وهو الذي اشتهرت كتبه وانتشرت - فانظر إلى قوله في الهمع في المسألة الأولى (الجمهور من المتأخرين منهم ابن مالك ... أن إعراب المثنى والجمع والحروف). (الجامي، الفوائد الضيائية، ص29، أنظر المفصل، للزمخشري، ج1، ص47)

- وقوله في المسألة الثانية (وفي عامل الرفع فيه - أي: في المضارع - أقوال، أحدها: نفس التجرد والتعدي من الناصب والجازم، فهو معنوي، وهو رأي الفراء، واختاره ابن مالك، وقال: إنه سالم من النقض، ونسبه لحذاق الكوفيين) (المرجع السابق، 164/1)

وقد كنت أعتذر لابن مالك إن لم يكن يطلع على كلام ابن الحاجب، ولكنه قد درس على ابن الحاجب - كما ذكر الدمامين نقلاً عن التاج التبريزي - وقرأ الكافية وله عليها تقريرات.

- وقد كان يطعن في ابن الحاجب صراحة ويقلل من شأنه وشأن من أخذ منه (السيوطي، بغية الوعاة، 134/1) مع العلم أنه كان متابعاً له في بعض آرائه - كما ذكرنا - ومقتفياً أثره حتى في أسماء كتبه كما هو ظاهر من تسمية ابن مالك لمنظومته النحوية الصرفية بالكافية الشافية على غرار تسمية ابن الحاجب للكافية في النحو والشافية في الصرف، وتسميته أيضاً لشرح الكافية الشافية بالوافية والوافية هي اسم منظومة ابن الحاجب للكافية.

ولعل الذي دعاه إلى ذلك هو إرادة منافسة كتبه لكتب ابن الحاجب التي ذاعت في المشرق، وأقبل عليها الشراح لما رأوه من إقبال الطلاب.

والدارس أراد إزالة ذلك الغموض وإعطاء الحق لصاحبه حتى يظهر لكل ذي فضل فضله.

المصادر والمراجع:

1- شهاب الدين عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان أبو شامة، تحقيق إبراهيم أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ترجمة رجال القرنين، دار الكتب العلمية 1422هـ-2002م، الطبعة الأولى.

2- عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، 1384هـ-1964م، ط1، طبعة عيسى البابي الحلبي.

3- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، ط11.

4- زين الدين عمر بن مظفر الشهير بابن الوردي المتوفي سنة 749هـ، تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1317هـ-1996م.

5- محمد كامل بركات - تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك - تحقيق وتقديم دار الكتاب العربي، 1387هـ-1967م.

6- ابن هشام الأنصاري، حاشية الثمني على مغنى ابن هشام وبهامشه حاشية الدماميني ابن هشام الأنصاري، مطبعة محمد أفندي مصطفى، المطبعة البهية، مصر، د.ت.

7- ضبط وتشكل يوسف الشيخ محمد البقاعي، حاشية الخضري علي ابن عقيل على ألفية ابن مالك، دار الفكر، ط1، 1424هـ-2003م.

8- جلال الدين أبي بكر بن عبدالرحمن السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، 1387هـ-1967م، ط1.

9- المعلم بطرس البستاني، دائرة المعارف وهو قاموس عام لكل فن ومطلب، طبع في بيروت، 1976م.

10- محمد فريد وجدي، دائرة معارف في القرن العشرين، (مفهرسة على القوانين الرئيسية فقط)، بيروت-لبنان، دار المعرفة، 1971م.

11- ابن فرحون المالكي، الديباج المذهب في معرفة علماء أعيان المذهب، ت: محمود الأحمدي، دار التراث للطباعة والنشر.

12- جمال الدين أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن مالك الطائي الجياني، شرح الكافية الشافية، ت: دكتور أحمد هريري، دار المأمون للتراث، ط1، 1982م.

13- أبي عمرو عثمان بن الحاجب، شرح الوافية نظم الكافية، ت: موسى بناني علوان العليلي، مطبعة الآداب في النجف الأشرف، 14000هـ-1380م.

14- محمد بن عبدالله ابن مالك الطائي الجياني الأندلسي جمال الدين، شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ت: محمد القادر عطا، وطار فتحي السيد (غير مفهرسة) دار الكتب العلمية، 1422هـ-2001م، ط1.

15- تاج الدين أبو نصر عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي السبكي، طبقات الشافية الكبرى، ت: محمود محمد الطناحي، عبدالفتاح الحلو، 1383هـ -1964م، فيصل عيسى البابي الحلبي.

16- بدر الدين محمود العيني، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ت: د. محمود رزق محمود، د. محمد محمد الأمين، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة الإدارة المركزية للمراكز العلمية مركز تحقيق التراث.

17- فهرس دار الكتب المصرية، منتدى المخطوطات والكتب النادرة .

18- محمد بن شاكر الكتبي، فوات الوفيات والذيل عليها، ت: دكتور إحسان عباس، دار صادر، 1973م.

19- نور الدين عبدالرحمن الجامي، الفوائد الضيائية، ت: دكتور أسامة طه الرفاعي، دار الآفاق العربية، 1424هـ-2003م.

20- جمال الدين عثمان أبي عمر بن أبي بكر المشهور بابن الحاجب، الكافية في النحو والشافية في الصرف، ت: دكتور صالح عبدالعظيم مكتبة الآداب، القاهرة، 2010م.

21- مجلة المورد العراقية، المجلد الثامن ربيع 1399هـ-1979م، العدد الأول، دار الحرية للطباعة والنشر، مجلة تراثية فصلية تصدرها وزارة الثقافة والفنون الجمهورية العراقية.

22- عبدالله بن أسعد علي بن سليمان اليافعي اليمني المكي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ت: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، ط1، 1417هـ-1997م.

23- أبو إسحق إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري المعروف بالكراخي، المسالك والممالك، دار صادر 2004م.

24- جمعه ورتبه يوسف إليان سركيس، معجم المطبوعات العربية والمعربة، مكتبة الثقافة الدينية 526 ش بور سعيد القاهرة.

25- موجز دائرة المعارف الإسلامية، ط1، 1418هـ-1998م، مركز الشارقة للإبداع الفكري.

26- أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، ت: إحسان عباس، 1388هـ-1968م، دار صادر.

27- أبو الفضل ابن حجر العسقلاني، النكت على صحيح البخاري، تحقيق أبو الوليد هشام بن علي العيدي، أبي تميم نادر مصطفى محمود، المكتبة الإسلامية، ط1، 1426هـ-2005م.

28- أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ت: إحسان عباس، (غير مفهرسة) دار صادر، بيروت، 1972هـ.

29- عبدالملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، ت: دكتور مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، ط1، 1403هـ-1983م.